

إنشاء تقارير الشهود الخبراء: إرثُ باربارا

مايا غرندلر

إن ذُكرت أهمية التفصيل والدقة البالغة في أثناء تحضير تقارير الشهود الخبراء فليس للمغالاة في ذكرها مجال.

لها صلة بما تعتقده النساء وتعليمهنّ، وبأسرهنّ ومجتمعهنّ المحلي، وبديناميات الحياة الاجتماعية في بلادهنّ الأصلية. إذ كانت باربارا تولي اهتماماً خاصاً بمجموعات النساء العرقية ومما يحيط بالبالغات وبالزواج من عادات في مجتمعهنّ المحلي، فكل ذلك يمكن أن يؤثر في احتمال خطر أن يُعانَى من تشويه الأعضاء التناسلية الأنثوية. وانصبّ تفكير باربارا على ما يعانيه أفراد أسر النساء ووجهات نظرهم في تشويه الأعضاء التناسلية الأنثوية، لا سيّما النساء منهم، وليس هذا فحسب، بل انصبّ تفكيرها على ذلك وعلى وجهات نظر أزواج النساء وأسرهم. وكانت تنتبه إلى الأسماء والعلاقات الأسرية المعقّدة وتقنيّدها، فتشقُّ طريقاً إلى إدراك قوة تأثير الديناميات فيها.

وكثيراً ما كانت تجرّي المقابلات على عدّة أيام في شقة باربارا بأكسفورد، ويكون فيها متدرب يكتب ما يقال على ما هو عليه. ثم إن باربارا كانت تعرف نفس المرء كيف تُطمأن، فيؤخّذ عندها من الراحة الحظ الوفير ويُقدّم من الطعام والشراب الشيء الكثير ويتجادب من الحديث ما هو خفيف، هذا بين جولات المقابلة، ولكنها كانت تؤكد أيضاً عظم شأن الشهادة وشدّة أهمية قول الصدق فيها وتذكرها تفصيلاً ما استطيع، وكانت تقول بكلام

ملاً ما كانت باربارا أقامت في عدد من البلاد الأفريقية وأجرت فيها بحثاً، عمّلت كثيراً عمل الشاهدة الخبيرة في قضايا اللجوء. وكان أكثر ما تعمله في ذلك له صلة بالخطر المحتمل الذي يُنشئه تشويه الأعضاء التناسلية الأنثوية، غير إن عملها كان له صلة أحياناً بمواضيع أخرى منها بند وقف حماية الروانديين في أوغندا أو احتمال خطر الاضطهاد الذي على من ليس له جنسية من الفلسطينيين في مصر. وعند باربارا أن إحسان صوغ الشهادة هو عماد قبول طلب اللجوء. وقد شكت مرة بعد مرة "كسل المستطعين"، وكثيراً ما كانت تفور من الغضب على الممثلين القانونيين المقصرين عن إخراج شهادة جيدة بتعاونهم هم وموكليهم، وعلى متّخذي القرارات الذين ما صدّقوا طالبي اللجوء مما في قصصهم من 'تناقض'.

وكانت باربارا تدأب في أن تعمل نفسها في إخراج شهادة جيدة وكان لها اهتمام بالتفاصيل. وكانت باربارا تجمع بين الرفق والشدّة في دلّها المستطعين على إخبارها ما تحتاج إلى معرفته. وما عنّت عندها كلمة 'التفاصيل' تفاصيل كالتواريخ الصحيحة (مع أن العجز عن استذكارها يمكن أن يقود متّخذي القرارات إلى عد صاحب الطلب غير موثوق به)¹ ولكن التفاصيل التي



عُرِضَت صورة باربارا هذه بلوحة إعلانات قُرْب محطة القطار بأكسفورد في جُزء من مهرجان أكسفورد للفنون. وُكِّبَ في كل جانب من جوانب الصورة الكلمات الآتية: أشكر لك إعناتي على النجاة من تشويه الأعضاء التناسلية الأنثوية في نيجيريا.

واضح المعنى إن الاعتراف بنسيان بعض الحقائق أو الجهل بها خيرٌ من اختلاق التفاصيل. وكان من قُوَى مقاربة باربارا أنها كانت تستطلع أيضاً أسرة طالب اللجوء أو أفراداً من مجتمعه المحلي كلما استطاعت السبيل إلى ذلك، بنفسها أو بالهاتف، فتستأجر مترجماً فوراً كلما دعت حاجة إليه. فما تحاشت من الأحاديث التي فيها صعوبة، ومنها التي تجول فيها هي وأفراد الأسر المستكرين أو الراغبين عن المساعدة؛ إذ يُحصَل في الغالب بتسلسل أسئلتها معلوماتاً يُتَّفَعُ بها في دعم قضايا طالبي اللجوء.

ولقد بنت في عَمَلِها موضوع تشويه الأعضاء التناسلية الأنثوية وفي بحثها فيه على مصادر ثانوية، وعلى دراية خبِراء آخرين ومزاولين مَمَّن لها صلة بهم. وكان من تقارير الشاهد الخبير، التي كانت تخرجها باربارا وترفعها إلى المحكمة دليلاً في إجراءات استئناف طلب اللجوء، ما هو بالحقّ طويلٌ -أي كانت تملأ في الغالب نحواً من ٢٠ صفحة- فيكون التقرير بحثاً قائماً بنفسه، فلكل طالب لجوء معلومات في البلد الأصلي مخصصة له. وكانت باربارا تبدأ التقرير بأن تعرض بإيجاز من التأهيل والخبرة التي عندها ما يثير في النفس الإعجاب، ثم تُقدِّم مقدّمة في الموضوع وتبيِّن الحال الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية التي يقع فيها تشويه الأعضاء التناسلية الأنثوية وذلك في البلد الأصلي الذي هو موضوع

مايا غرندلر m.grundler@qmul.ac.uk
كلية الملكة ماري بجامعة لندن www.qmul.ac.uk

١. انظر مثلاً

UNHCR (2013) 'Beyond Proof: Credibility Assessment in EU Asylum Systems', p139 (ما بعد الإثبات: تقييم المصداقية في نُظُم اللجوء بالاتحاد الأوروبي)

www.unhcr.org/51a8a08a9.pdf

www.refugeelawinformation.org